دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان: الإتجاه الجغرافي لتفسير أسباب الجريمة
المصدر: الأمن والحياة
الناشر: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
المؤلف الرئيسي: عبدالعال، حسن إبراهيم
المجلد/العدد: مج 28, ع 323
محكمة: لا
التاريخ الميلادي: 2009
الشهر: أبريل / ربيع الآخر
الصفحات: 64 - 67
رقم MD: 488499
نوع المحتوى: بحوث ومقالات
قواعد المعلومات: HumanIndex
مواضيع: السلوك الإجرامي، وسائل الإعلام، الجريمة والمجرمون، الأجهزة الأمنية، علم النفس السلوكي، البيئة الجغرافيا، علم الإجتماع القانوني
رابط: http://search.mandumah.com/Record/488499

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

يقوم الاتجاه الجغرافي لتفسير أسباب الجريمة أساساً على فرضية أن للبيئة الجغرافية تأثيراً في النشاط البشري والسلوك الإنساني، حيث تترك قوى الكون التي تعمل فوق سطح الأرض من مناخ وجبال وأودية وسهول وأنهار وبحار آثارها على السلوك بوجه عام، بل لعلها تحدد طبيعة هذا السلوك.

د. حسن إبراهيم عبدالعال *

الاتجاه الجغرافي لتفسير أسباب الجريمة

لقد اهتم العلماء بدراسة العلاقة بين البيئة الجغرافية وبين السلوك وقاموا بصفة خاصة ببحث العلاقة بين الظواهر المناخية والجريمة، ومن هذه الدراسات التي قام بها عالم الإحصاء البلجيكي «أدولف كيتيليه» في دراسته لجرائم الأشخاص وجرائم الأموال في فرنسا، فقد ذكر «كيتيليه» أن جرائم الأشخاص تزداد كلما نزلنا جنوباً حيث الجو الحار، ومن الجهة الأخرى فإن جرائم الأموال تميل إلى الارتفاع كلما صعدنا شمالاً حيث الجو البارد، وقد استخلص «كيتيليه» من دراساته المناخية المتعددة قانوناً دعاه بالقانون الحراري للجريمة.

هذا إلى جانب دراسات عديدة تناولت أثر البيئة الجغرافية في السلوك الإجرامي.

وعلى الرغم من أنه يشار إلي الفيلسوف «مونتسيكو» على أنه أول من أثبت في أبحاثه المختلفة في علم الاجتماع القانوني علاقة البيئة الجغرافية بسلوك الإنسان، وأثر هذه العوامل في تكوين السلوك المنحرف، فإن المرء لا يستطيع أن يغفل إشارات كثيرة لعلماء المسلمين في هذا الشأن، لقد أشار علماء المسلمين إلى تأثير العوامل الجغرافية.

على صحة الإنسان وحالته العقلية والانفعالية والخلقية وعلى سلوكه بوجه عام، لقد ألمحوا في كتاباتهم إلى أن مكان ولادة الإنسان ومستقر معيشته يحددان ـ إلى درجة كبيرة ـ كثيرا من صفاته وسجاياه من حيث نشاطه أو خموله، ووحشيته أو مدنيته. وكان أول من تنبه إلى تأثير البيئة الجغرافية في تشكيل طبيعة الإنسان «إخوان الصفاء وخلان

الوفاء» منذ القرن الرابع الهجري لقد نبهوا إلى ذلك في رسائلهم المشهورة فكتبوا تحت عنوان «تأثير طبيعة البلدان في الأخلاق» عن اختلاف سلوك وأنشطة من يسكن رؤوس الجبال عمن يسكن البراري والقفار أو يسكن سواحل البحاروشواطئ الأنهار وأرجعوا ذلك الخلاف إلى تأثير عوامل البيئة والمناخ بوجه خاص هذا فضلاً عن إشاراتهم إلى تأثير البيئة الجغرافية في طاقات الأفراد الحيوية وعاداتهم وصحتهم العامة.

يقول إخوان الصفاء: أعلم يا أخي بأن تراب البلاد والمدن والقرى تختلف وأهويتها تتغير من جهات عدة، فمنها كونها في ناحية الجنوب أو الشمال أو الشرق أو الغرب أو على رؤوس الجبال أو في بطون الأودية والأغوار، أو على سواحل البحار أو شطوط الأنهار، أو في البراري والقفار، أو في الآجام والرحال، والأرض ذات الرملة والأرضين السباخ، أو في البقاع الصخرية والحجارة والحصاد والرمال، أو في الأرضين السهلة والتربة اللينة بين الأنهار والأشجار والزروع والبساتين والزهور والنور، وأيضاً فإن أهوية البلاد والبقاع تختلف بحسب اختلاف تصاريف الرياح.. وهذه كلها تؤدي إلى اختلاف أخلاق أهلها وطباعهم وألوانهم ولغتهم وعاداتهم وآرائهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وتدابيرهم وسياستهم، لا يشبه بعضها بعضا بل تنفرد كل أمة منها بأشياء من هذه التي تقدم ذكرها لا يشاركها فيها غيرها.

وهكذا يصرح «إخوان الصفاء» بأن للعوامل الجغرافية دوراً رئيسياً في حياة الأمم والجماعات وأن هذه العوامل مسؤولة عن تحديد طباع الناس وأخلاقهم وآرائهم وأن للمناخ كما لطبوغرافية الأرض تأثيراً على الأفراد وهما من أقوى أسباب التمايز بينهم في خصائصهم وصفاتهم الخلقية والانفعالية.

إن بعض هذه العوامل قد يؤدي إلى فقدان بعض الناس لحالة التوازن الطبيعية في أجسامهم، أو قد تستثير بعضاً من الاستعدادات الانفعالية أو العقلية الكامنة فيهم بطريقة غير طبيعية فيصدر عنهم تبعاً لذلك سلوك غير طبيعي. إن البيئة الجغرافية ـ في رأي إخوان الصفاء ـ هي التي ترسم للناس خطوط سيرهم وهي التي تحدد لهم أنشطة حياتهم وتؤثر في الفكر والآراء والسياسة والتدبير ولقد أيدت ملاحظات الباحثين وشواهد ا لإحصاء صحة ما ذهب إليه «إخوان الصفاء» «فأشعة الشمس لا تؤثر على وجه الأرض فحسب بل بدا أثرها كذلك في وجه التاريخ إذ لوحظ أن سقوط هذه الأشعة على بقع الأرض المختلفة لا يكون بزاوية واحدة، وأن مراكز الحضارة الإنسانية في آسيا وأوروبا وأمريكا ظهرت في بقع تتفق في أن الجو بها معتدل، وفي أن أشعة الشمس تسقط عليها بنفس الزاوية، وفضلاً عن ذلك فإن في المناطق الحارة يؤثر ارتفاع درجة الحرارة على نفسية المرء فيكون أميل إلى العنف وإلى تصرفات مختلة التوازن ولذا تغلب عندئذ من حيث النوع أفعال الاعتداء على الأشخاص والاغتصاب الجنسي والانتحار، ذلك لأن القيظ يضعف قدرة الأعصاب على المقاومة مع مضاعفته قوة الانفعال والعاطفة.

ويزيد إخوان الصفاء الأمر تفصيلاً إزاء تأثير المناخ على سلوك الناس وأخلاقهم وأمزجتهم وأحوالهم النفسية بقولهم، والدليل على ما قلنا أن مزاج أبدان أهل البلدان الجنوبية من الحبشة والزنج وأهل السند، فإنه لما كان الغالب على أهوية بلادهم الحرارة بمرور الشمس على سمت تلك البلاد في السنة مرتين، سخنت أهويتها فحمي الجو، فاحترقت ظواهر

أبدانهم، وأسودت جلودهم، وتجعدت شعورهم لذلك السبب وبردت بواطن أبدانهم.. وبالعكس من هذا حال أهل البلدان الشمالية وعلتها أن الشمس لما بعدت من سمت تلك البلاد... غلب على أهويتها البرد وأبيضت لذلك جلودهم.. وكثرت الشجاعة والفروسية فيهم... وعلى هذا القياس توجد صفات أهل البلدان المتضادة بالطباع والأهوية، يكونون مختلفين في الطباع والأخلاق في أكثر الأمر وأعم الحالات وعلى ذلك فمن الصعب الحكم على سلوك الناس وأخلاقهم رغم اختلاف مواطنهم وبلدانهم بمعيار واحد يضعه الإنسان، وذلك لتأثير طبيعة الإقليم الجغرافية في السكان، واختلاف كل بيئة عن الأخرى يتبعه اختلاف طبائع الناس.

ولعل مثل إشارة إخوان الصفاء عن تأثير العوامل الجغرافية في تحديد طبائع الناس كانت مؤشراً جيدا لأولئك الذين عارضوا فيما بعد ما عرف باسم القانون الطبيعي الذي لا يمكن تغييره فليس القانون بالضرورة قانوناً واحداً يصلح لجميع الشعوب وفي جميع البلدان حيث تختلف طبيعة كل بلد وجغرافيته عن البلد الآخر.

ثم يأتي من بعدهم العلامة «ابن خلدون» ليكون أكثر تحديداً لتأثير العوامل الجغرافية في طبيعة الأفراد، وأكثر بياناً لمدى ارتباط السلوك ـ بما في ذلك السلوك المنحرف ـ ببعض الظروف الجغرافية، بل لعله صرح بأثر العوامل الجغرافية فيما أسماه بالأقاليم البعيدة عن الاعتدال في انحراف أخلاق أهلها وطبائعهم.

فتراه يذكر عن سكان المناطق المعتدلة طبيعة ومناخاً أن سكانها من البشر أعدل أجسادا وألواناً وأخلاقاً وأديانا.. وأهل هذه الأقاليم أكمل لوجود الاعتدال فيهم، فنجدهم على غاية من التوسط في مساكنهم وأقواتهم وصنائعهم، ويبعدون عن الانحراف في عامة أحوالهم.. أما الأقاليم البعيدة عن الاعتدال في جميع أحوالهم، وأخلاقهم مع ذلك قريبة من خلق الحيوانات العجم ولذلك يتوقع أن تكثر فيهم الجريمة.

ثم يتحدث ابن خلدون في مقدمته عن أثر هذه العوامل الجغرافية بوجه خاص على الأخلاق والصفات، وما تسببه من انحراف أو توجده من استعدادات لارتكاب الجريمة، وأيا كانت صحة الرأي الذي ذهب إليه ابن خلدون فالذي يعنينا ربطه بين العوامل الجغرافية وما يصدر عن الناس من سلوك في تعاملهم مع غيرهم عقليا وانفعاليا وحركياً وكيف أرجع نوعية السلوك إلى تأثير المناخ.

نفسية الإنسان وبالتالي يمكن أن تقوم بينه وبين ظاهرة الإجرام صلة. ومن العجيب أن يجد الإنسان صدى لآراء ابن خلدون في دراسات «لومبروزو» إلى أن جرائم العنف تزيد بشكل كبير في فصل الصيف الحار، وقد اعترف «فيرى» في كتابه علم الاجتماع الجنائي أن لبعض الظروف الطبيعية كطبيعة التربة والطبيعة الزراعية والمناخ واختلاف فصول السنة ودرجة الحرارة والحالة الجوية تأثيراً مماثلاً على تكوين السلوك الإجرامي، وتؤيد ذلك الدراسات الجغرافية الأمريكية التي قام بها «ديكستر» في مدينتي نيويورك ودنفر» الأمريكيتين «لقد وجد ديكستر أن عدد المقبوض عليهم عن جرائم مختلفة يزداد بشكل واضح خلال الجو الحار والضغط الجوى العالي وانخفاض درجة الرطوبة في المدينتين المذكورتين ومن الجدير بالملاحظة أن يتوصل العلامة ابن خلدون إلى أن طبيعة الإنسان تتغير إذا انتقل من بيئة جغرافية إلى بيئة جغرافية أخرى،

بما يتناسب والبيئة التي انتقل إليها مبينا بذلك أن العوامل الجغرافية دائمة التأثير في الإنسان وكما يؤثر المناخ في سلوك الأفراد وقد عبر عن ذلك ابن خلدون بقوله «أثر الهواء في أخلاق البشر» رأى ابن خلدون أن لحالة الإقليم من حيث الخصوبة والجدب أثراً في طبيعة السلوك «إستقامة وانحرافاً»، وأن للغذاء أثراً في أخلاق الإنسان وطريقة سلوكه فقال» وتجد مع ذلك هؤلاء الفاقدين للحبوب والأدم من أهل القفار أحسن حالاً في جسومهم وأخلاقهم من أهل التلول المنغمسين في العيش. فألوانهم أصفى، وأبدانهم أنقى، وأشكالهم أتم وأحسن،وأخلاقهم أبعد من الانحراف، وأذهانهم أثقب في المعارف والإدراكات، وهذا أمر تشهد له التجربة في كل جيل منهم.

أما أهل التلول المنغمسين في تناول اللحوم والطعام إلى حد التخمة، فمع كثير تناولهم للطعام وامتلاء أمعائهم «تجيئ البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة.

ومع أن مسألة اكتشاف ما لتغذية الإنسان من أثر في أخلاقه وطريقة سلوكه ما زالت قيد البحث والدراسة إلا أن «تجارب العالم «دي توليو» في مراكز البحث بروما في شأن الأحداث أثبتت أن كثيرين ممن يميلون منهم إلى الخروج على النظام وإلى التسول والسرقة يعانون سوء التغذية وقد غير ذلك العالم معيشة هؤلاء الأحداث بوضعهم فترة من الزمن تحت المراقبة في نظام كفل لهم حسن التغذية فبدأ عليهم بوضوح تحسن نفساني وخلقي وصاروا أكثر هدوءاً واحتراما للنظام ومما يدل على أثر الغذاء في النمو الجسمي والنفسي للأفراد وهو ما ذهب إليه ابن خلدون ويثبت بالتالي صلته بظاهرة الإجرام ما حدث لدى بعض الشعوب من تطور على أثر معرفتها واستعمالها مواد غذاء جديدة كانت مجهولة مثل التبغ والبن والكحول، فكثير من مواد الغذاء يحدث تعاطيه أثراً خاصا مخلا بوظائف الأعضاء أو بالاتزان الانفعالي، وليس أظهر في الدلالة على ذلك من أن النباتيين يمتازون عادة بالهدوء والرقة في الطبع، بينما يتميز اللحميون على العكس بالخشونة والميل إلى العنف.

ولا أدل على تأثير البيئة الجغرافية في سلوك الإنسان وخلقه من قول ابن خلدون إننا بتتبع ذلك في الأقاليم والبلدان نجد في الأخلاق أثرا من عوامل الطبيعة.

غير أنه برغم وجاهة الاتجاه الجغرافي لتفسير أسباب الجريمة، وتأثير العوامل الجغرافية في الأخلاق وطريقة السلوك. واعتزاز الإنسان بسبق «إخوان الصفاء والعلامة ابن خلدون في الإشارة إلى ذلك الأمر وتوجيه الانتباه إليه فمن الحق أن نذكر أن هذا الاتجاه لم يستطع أن يقدم تفسيراً علمياً كاملاً لأسباب الجريمة والواقع أن النظرة التي تحدد السلوك الإنساني على أساس عوامل قائمة في البيئة الجغرافية كالعوامل المناخية وعامل الموقع والتضاريس وغيرها. هذه النظرة يعتريها القصور لأمور عديدة، فهي من الناحية المنهجية معيبة لأنها تتناول جانباً واحداً من جوانب البيئة الشاملة، كما لو كان علة منفصلة وكافيه لتلصق به الأهمية القصوى في تحديد السلوك بدلاً من أن تنظر إلى هذا الجانب على أنه متشابك مع غيره من العوامل، وهي من الناحية التجريبية قاصرة لأنه لو كانت للبيئة الجغرافية أثار محدودة في سلوك الإنسان ونظمه لتشابه طابع السلوك، وتماثلت خصائص النظم كلما تساوت البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان، بيد أن الواقع يكذب هذا الافتراض، فسكان المناطق الاستوائية في إفريقيا لا يتماثلون في السلوك أو في النظم مع سكان المناطق الاستوائية في أمريكا رغم تماثل البيئة الجغرافية لكن ذلك لا يمنع أن تكون الظروف الجغرافية سبباً من أسباب الجريمة وليست كل أسباب الجريمة.

ولقد اتجه علماء المسلمين في تفسير أسباب الجريمة اتجاهات مختلفة غير الاتجاه الجغرافي منها ما يمكن أن نطلق عليه الاتجاه الأنثرو بولوجي وأن ما ذكره العلماء المسلمون في هذا الشأن مقدمة للمدرسة الانثروبولوجية وهذا ما سنتطرق إليه في العدد القادم إن شاء الله.

---

* باحث ـ القاهرة ■